أثر العوامل السابقة في انتشار الإسلام

العوامل التي عرضنا لها في موضوع ظهور الإسلام وحاجة الإنسانية إليه ، كان لها الأثر الواضح في انتشار الإسلام ، وإقبال الناس عليه ، والدخول في دين الله أفواجا .

ونحن نوقن أن حكمة الله لا يدركها بشر ، وفي الوقت نفسه نلمس أن في مقدور البشر أن يعلنوا شيئا من هذه الحكمة ، على حسب ما يظهر لهم خصوصاً بعد ما تنكشف بعض أسرار الحكمة .

لقد أظهر الواقع الذي مضى زمنه ، قيمة هذه الاختيارات للدعوة الإسلامية ولذا يجدر أن نتعرف على أثر هذه العوامل في انتشار الإسلام عاملا عاملا ، لتتضح الرؤية ويتحقق الهدف .

أولاً : أثر اختيار الرسول ﷺ ليبلغ الإسلام في انتشار الإسلام :

لقد عرفنا أن النبي ﷺ ينتسب إلى بطن بني هاشم ، وهم بطن يقطن مكة ، ويرتبط مع سائر بطون قريش في قرابة ، ولذلك فعروبة النبي ﷺ ثابتة موطنا وجنساً ولغة ، وقد أكد القرآن الكريم هذا في آيات كثيرة ، فقوله تعالى : ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ﴾ إلى ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾[1] يشير إلى أن مكة هي قرية النبي وموطنه ، إذ ما أضاف القرية إلى غيره ﷺ[2] . وقد دفع الله عن كثير من أهل مكة العقوبة في الدنيا ، لبركة

(١) سورة محمد ، آية رقم ١٣ .

(٢) د . أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية ، ص : ١٢٠ .

وجود الرسول نبي الرحمة[1] . وقوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ .. ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾[3] ﷺ لأن الأمية صفة للعرب ، في مقابلة أهل الكتاب وهو أمي منهم[4] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[5] .

وقوله تعالى : ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾[6] يشير إلى لغة النبي ﷺ العربية التي نزل بها القرآن الكريم ، فجعلها أكثر رسوخا .

وهذه العروبة المكية ، تعطي للدعوة الإسلامية قوة معينة ، لأن مكة هي أم القرى ، وبها الكعبة وقد درج الناس والعرب على تقديرها ، والمشاركة في مواسمها الدينية والتجارية والأدبية ، ويعدون هذه المشاركة واجباً تجاه مكة وأهلها القرشيين الذين ينظمون أمور الكعبة ، ويحرسون الحجيج ، ويطعمونهم ، وهم لجوارهم للكعبة أهل الله ، يعرفونه فيدافع عنهم ، ويخصهم بالفضل من دون الناس[7] .

وبنو هاشم بطن من أوسط بطون قريش ، ويتصل بهم جميعا ، وتلك ميزة لداعية يظهر فيها ، إذ يجد نفسه مرتبطا بقربى مع سائر البطون وهذا ما كان ، ولقد أخرج البخاري عن ابن عباس – رضي الله عنه – « أن النبي ﷺ لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلاَّ وَلَهُ قَرَابَة فِيه » .

---

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ :٧٠ ، ص : ٢٩٤ .
(٢) سورة الجمعة ، آية رقم ٢ .
(٣) سورة الأعراف ، آية رقم ١٥٧ .
(٤) د . أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية ، ص : ١٢٠ .
(٥) سورة يوسف ، آية رقم ٢ .
(٦) سورة مريم ، آية رقم ٩٧ .
(٧) د . أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية ، ص : ١٢١ .

والقربى النسبية تدفع بدورها إلى الوحدة ، والاتجاه النفسي الواحد وتجعل رأي الفرد منها مسموعا مطاعا ، خصوصا في عصر كثرت فيه التكتلات القائمة على العنف والقوة ، لدرجة أن عرب مكة جاءوا في البداية ، وفي هدوء إلى أبي طالب ، وشكوا إليه أمر محمد ﷺ بأنه : « سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا »[1] وبهذا كان في نظرهم يفرق ولا يجمع ، وبذلك تضعف قوتهم ، وكان الأمل أن يكونوا ومعهم محمد ﷺ يدا واحدة حتى لو جعلوه أغناهم أو ملكاً عليهم »[2] .

لقد كان من التوضيحات الإلهية للعرب وأهل مكة : أن الله بعث فيهم رسولا منهم – وقد كرر القرآن الكريم ألفاظ ﴿ **من أنفسهم** ﴾ و ﴿ **منكم** ﴾ و ﴿ **منهم** ﴾، وذلك في معرض مخاطبتهم ، إذ يقول – سبحانه وتعالى – : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[3] ويقول – سبحانه وتعالى : ﴿بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ..﴾[4] .وقال تعالى : ﴿ ...جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾[5] ، وكونه – صلى الله عليه وسلم – منهم وفيهم ، لايقتضي اختصاصه بهم ، وإنما الذي تقتضيه هذه الإشارات (من أنفسهم) و(منكم) و (منهم) أن يكون العرب هم أولى الناس باتباعه ، وأسرعهم إلى ذلك ، فهو أشد الناس حنوا عليهم وأكثرهم أملا في هدايتهم ، لارتباطه بهم بأكثر من طريق ، (وله أعمام وأخوال وعمات وخالات من سائر بطون مكة)[6] كما أشار إلى ذلك قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ : ١ ، ص : ٢٧٧ .
محمد حسين هيكل ، حياة محمد ، ص : ١٤٦ .
(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ : ١ ، ص : ٣١٣ – ٣١٤ .
محمد حسين هيكل ، حياة محمد ، ص : ١٥٣ .
(٣) سورة التوبة ، آية رقم ١٢٨ .
(٤) سورة آل عمران ، آية رقم ١٦٤ .
(٥) سورة النحل ، آية رقم ١١٣ .
(٦) ابن القيم ، زاد المعاد ، جـ : ١ ، ص : ٢٦ – ٢٧ ، ط : المطبعة اليمنية بمصر .

﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ[1]﴾.

فهذه الآية الكريمة : تدل في صراحة على وجود أعمام ، وعمات وأخوال وخالات له في مكة ، وأنه تزوج من بناتهم المهاجرات بعد الهجرة ، وبالبحث في زوجات النبي – صلى الله عليه وسلم – القرشيات ، نجد أنهن لسن من بنات بني هاشم ولكنهن من بقية البطون ، فعائشة من بطن « تيم » ، وحفصة من بطن « عدي » وأم حبيبة من بطن« بني أمية » ، وأم سلمة من بطن « بني مخزوم » ، وسودة من « بني زمعة » ، وزينب من « بني أسد » .

فثبت بذلك أن القرابة كانت موجودة بين بطون مكة وبين بني هاشم وأن للنبي – صلى الله عليه وسلم – أخوالا وخالات وأعماما وعمات من سائر البطون ، لذا جاء الأمر من الله لرسوله – صلى الله عليه وسلم – بأن ينذر الأقربين ، قال تعالى:﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[2] فدعا محمد عشيرته إلى طعام في بيته ، وحاول أن يحدثهم ، داعيا إياهم إلى الله[3] . ثم انتقل محمد –صلى الله عليه وسلم – بعد ذلك بدعوته من عشيرته الأقربين إلى بطون أهل مكة بطنا بطنا[4] .

قال تعالى :﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[5] فهم أقرباؤه ، لايطلب لهم إلا الخير والمصلحة ، وعليهم ألا يعصوه ، وهو لايسألهم

---

(١) سورة الأحزاب ، آية رقم ٥٠ .

(٢) سورة الشعراء ، آية رقم ٢١٤ .

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ : ٦ ، ص : ١٧٦ – ١٨١ .
السيوطي ، الدر المنثور ، جـ : ١٦ ، ص : ٣٢٤ – ٣٢٩ .

(٤) محمد حسين هيكل ، حياة محمد ، ص : ١٤٢ .
محمود شاكر ، التاريخ الإسلامي ، جـ : ٢ ، ص : ٦٤ ، طـ : المكتب الإسلامي بيروت ، سنة : ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

(٥) سورة الشورى ، آية رقم ٢٣ .

غرما أو مقابلا . وكل مايرجوه أن يؤدوا حق القرابة الموجودة بينهم وبينه .

ولقد كان لهذه القرابة أثرها الواضح في استجابة العرب لدين الإسلام إذ عرفوه بأنه صاحب النسب الرفيع العالي ، ومن هنا لايأتي للناس إلا بما يأخذ بأيديهم إلى الصلاح . وعرف أقرباؤه أنه منهم وإليهم ، وهم أولى الناس باتباعه والاهتداء بما جاء به من عند الله – سبحانه وتعالى – فكانوا أسرع الناس قبولا للحق والهدى .

ثانيا : أثر اختيار الأمة الأولى للإسلام في انتشار الإسلام :

لقد كان اختيار الأمة الأولى للإسلام له أثره الواضح في انتشار الدعوة الإسلامية ، فهؤلاء العرب لم يلبثوا طويلا في عنادهم ، بل آمنوا بالدعوة والقرآن ، وأسلموا أمرهم لله . فصنع منهم في وقت قصير لايذكر خير أمة أخرجت للناس ، تتحلى بمكارم الأخلاق ، وعظائم السلوك ، وتسعى في كل مكان لهداية البشر على نهج القرآن الكريم ، يقول مصطفى صادق الرافعي – رحمه الله – : « فالقرآن الكريم بتمكنه من فطرة العرب على وجهه المعجز ، قد نزل منهم منزلة الزمان في عمله وآثاره ، لأن الذي أنزله بعلمه وقدره بحكمته إنما هو خالق الزمن نفسه ، فهدم نفوس العرب ، وكان هدمه بناء جديدا جعل الأمة نفسها قائمة على أطلال نفسها »[1] .

إن الدعوة الإسلامية أثمرت أكلها بظهورها في الأمة العربية إذ ناسبتها طبيعتهم البدوية الحضارية ، وأخلاقهم الرفيعة ، وشجاعتهم الحليمة الوفية ، وذكاؤهم الحاد ، وفهمهم الدقيق ، وحافظتهم القوية ، إذ جاءت الدعوة إلى كل هذه المزايا فنشطتها وسمت بها ، وأزالت منها السلبيات الموروثة ، فوجد العرب أنفسهم – بعد الإسلام – تلقائيا يبذلون حماسهم وقوتهم للدعوة الإسلامية ، ويعطون

---

(١) مصطفى الرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص : ٨٦ ، ط : الخامسة دار الكتاب العربي ، بيرت ، سنة : ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م .

شجاعتهم وإمكاناتهم لأمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وفي خدمة دعوته فتحركوا إلى كل مكان من أجل نشرها ، تاركين كل مايهمهم ، وأصبح تعصبهم اندفاعا لتنفيذ أوامر الدعوة الإسلامية وتعاليمها وكان لهم من استعدادهم ما جعلهم يستفيدون بالدعوة ، ويفيدونها[1] .

ولقد كان للبيئة العربية في شبه الجزيرة أثرها الكبير في الحركة العربية لاسيما من الناحيتين : الاجتماعية والسياسية ، ولقد اتصل ذلك بالبيئة في معناها الأعم والأشمل من ظروف الأرض والمناخ والنبات ، بل والحيوان أيضا[2] .

ولقد كان جليا في حكم التاريخ ، وبنزول القرآن كله في جزيرة العرب أن هذه الخصائص التي نهض بها بيان العرب ، ونبتت أخلاقهم وانتهت إلى الله حكمتهم ، لم تكن مما توفر لأمة في غير جزيرة العرب ، حتى نزل القرآن الكريم ، وحتى انطلق لها صحابة الرسول الكريم ، في مد الإسلام للتحرير وإشرافه للتنوير والتغيير ، فكان حفظ القرآن بتعلم لغة العرب ، والجهاد حول القرآن ، والجهاد بالقرآن ، طريق الإثبات لهذه الخصائص الإنسانية من خلال حركة التعريب الواسعة ، التي صاحبت انتشار الإسلام[3] .

فالعرب قد جمعوا بين فصاحة اللسان ، وحكمة العقل ، وجرأة القلب ..لقد اجتمعت الفصاحة والبلاغة في القول إلى حد الارتجال ، ونطقوا بالحكمة السائرة ، التي توارثها الأجيال من بعدهم ، تلك الحكمة البعيدة عن الخرافة والوهم ، وإنما هي خلاصة تجارب الحياة ، والتي تعبر عن الإنسان في كل مكان ، وكانوا رجال حرب ، لاتضارعهم أمة في شجاعتهم وبسالتهم ، ومن هنا :

---

(١) د / أحمد غلوش – الدعوة الإسلامية – ص : ١١٣ .

(٢) د . سليمان حزين ، المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية ، جـ : ١ ، ص : ٣٨٧ طـ : مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، سنة : ١٣٨٣هـ – ١٩٦٢م .

(٣) أحمد موسى سالم ، لماذا ظهر الإسلام في جزيرة العرب ؟ ص : ٣١٩ .

اجتمعت لهم الأصول العميقة لمواهب الإنسان كلها[1] . ما كان له أثره في انتشار الإسلام في المشارق والمغارب ، إذ قام العرب بدورهم في تعريف المجتمعات المختلفة برسالة الإسلام .

ثالثا : أثر عناية الله في اختيار المكان لظهور الدعوة في انتشار الإسلام :

لقد كان لعناية الله – سبحانه وتعالى – في اختيار المكان لظهور الدعوة أثر واضح في انتشار الإسلام فيما حول مكة ، قال تعالى : ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[2] وهكذا يتقرر من الآية الكريمة أن أمّ القرى هي مركز الوسط الأمين ، لأنها تنذر بما نزل فيها من حولها ، إذ لو كانت غير ذلك ، وفي جانب وإلى ناحية ، ما كان الوجود من حولها[3] .

لقد كان بحق هذا المركز الوسط مصدر إشعاع لمن حول أم القرى وكان العالم حول أم القرى ، فانطلقت الرسالة الإسلامية ، لتنير السبيل وتهدي الضال .

لقد اختار الله – تعالى – هذا المكان العالمي« مكة » وأقدس وأقدم بيت هناك « الكعبة » لتكون مناخا للدعوة الإسلامية الخاتمة على يد محمد – صلى الله عليه وسلم –[4] .

وإعداد أول بيت وضع للناس ، ليكون منطلقا ومناخا لحياة آخر دين خاتم للرسالات والديانات قبل ظهوره ، يتفق تماما مع عهد الله –تعالى – المأخوذ على أنبيائه ، لنصرة دين الإسلام ، قبل ظهور محمد – صلى الله عليه وسلم – إلى عالم الدنيا ، بقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن

(١) عبد القادر أحمد عطا ، لماذا بعث الرسول في مكة ؟ ، ص : ٤٦ – ٤٧ .
(٢) سورة الأنعام ، آية رقم ٩٢ .
(٣) د . عبد الرزاق نوفل ، أم القرى مركز الوسط الأمين ، ص : ٤١ ، مقال بمجلة العرب بباكستان ، العدد الصادر في رجب ، وشعبان ، من السنة الحادية والخمسين .
(٤) عبد القادر أحمد عطا ، لماذا بعث الرسول في مكة ٢ ، ص : ٨ .

كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[1] .

فالمكان الذي ظهرت فيه الدعوة أحاطه الله بمجموعة من الظروف جعلته مكانا ملائما للدعوة الخاتمة ، لكي تنطلق في كل اتجاه ، وقد انطلقت الدعوة الإسلامية هنا وهناك ، فكان صداها في كل الأنحاء .

وترجع أهمية المكان : إلى أن الجزيرة العربية ، ملتقى مواصلات هام بين بقية أجزاء آسيا وأفريقيا ، التي تواجه أوربا[2] .

وأثر الموقع الجغرافي الذي بدأت منه الحركة العربية الإسلامية سواء فيما يتصل بالبقعة التي نزل فيها الإسلام من الجزيرة العربية(الحجاز) أما بالنسبة للجزيرة العربية ، التي توسع منها العرب ، وانتشر الإسلام إلى العالم الخارجي ، فقد كان لنزول الإسلام بالحجاز بالذات – دون غيره من سائر أجزاء الجزيرة العربية ، وأركانها – أثره البعيد ، والباقي على مر الزمن ، بل أثره من حيث توحيد الجزيرة العربية في حركة واحدة ، مما ميز الإسلام على غيره من الأديان السماوية السابقة في المنطقة ، كذلك كان لارتباط الإسلام بسكان الجزيرة العربية ، والموقع الجغرافي لهذه الجزيرة أثره البعيد والباقي على مر الزمن في انتشار الإسلام شرقا وغربا ، بالبر والبحر[3] .

رابعا : أثر عناية الله في اختيار الزمان لظهور الدعوة في انتشار الإسلام :

لقد عرضنا – ونحن نتحدث عن عناية الله في اختيار الزمان لظهور الدعوة –

---

(١) سورة آل عمران ، آية رقم ٨١ .

(٢) د . محمد مصطفى النجار ، عرب الجزيرة بين الجاهلية والإسلام ، ص : ٤ ط : دار الطباعة المحمدية .

(٣) د . سليمان حزين ، المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية ، جـ : ١ ، ص : ٣٨٦ .

أن هذا الزمان ساد فيه صراع عام ، وحروب متوالية ، ولاشك في أن الحروب المتوالية المحلية والعالمية ، والخصومات المتتابعة ، المذهبية والعقدية ، والتغيرات المتلاحقة ، القومية والعنصرية ، كل ذلك قد مهد للإسلام طريقه الفطري في الأرض[1] . ولعلنا ندرك بوضوح أن الزمن[2] عامل خارج عن ماهية الإسلام ، لاصلة له بجوهره ، ولكنه ذو أثر فعال في دفع عجلته ، والدعاية لرسالته فإن احتكاك المسلمين بغيرهم بسبب هذه الصراعات والحروب ، كان مدعاة لتبادل الآراء وتداول النقاش ، واستعراض ما له من مزايا وأخلاق وتقاليد .

إن صراعات هذا الزمن تميزت بالشمول والعمق ، ولذلك كانت نهايتها أمنية صادقة على مستوى هذا الشمول وهذا العمق .

ومما يجدر أن نعرض له في إيجاز ، أن هذا الزمن حظي بوجود الحكماء من العرب ، وكان الطابع العام لهؤلاء الحكماء هو البحث عن الدين المستقيم والتطلع إلى الهداية السماوية .

وحكماء العرب هؤلاء هم : العلماء الذين كان يرجع إليهم فيما يعرض من مشاكل ، وهم في الجملة أعظم العرب حظا في الثقافة[3] .

وإذا كان ما سبق يعد من الجوانب المحدودة برغم كثرته ، فإن قريشا قد غمرتها روحانية ، ففكرت في أمر الدين وقداسته ، والبيت وحرمته ، وبعد تأمل وتدبر ابتدعت رأي الحمس . والحمس : جمع أحمس ، والأحمس : الشديد الصلب في

---

(١) علي عبد الرحمن الأمين ، بحث بالمؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر جـ : ١ ، ص : ٣٥١ .

(٢) وبيان ذلك : أن الله – سبحانه وتعالى – هو الذي اختار الإسلام ليكون في هذا الزمن الذي أشرقت فيه رسالة الإسلام . ولما كان الناس في هذا الزمن لهم ما وصفنا . كان للزمن أثر كبير في انتشار الإسلام ، فكان عاملا مهما .

(٣) د . عبد الحليم محمود : التفكير الفلسفي في الإسلام ، جـ : ١ ، ص : ٣٨ ، طـ : الأولى ، =

الدين والقتال[1] .

لقد وصل النضج الفكري في هذا الزمن إلى مستوى يناسب ظهور الدعوة الإسلامية ، التي جاءت لترتقي بالإنسان إلى معالم الحق ، وتأخذ به إلى علائم الكمال المنشود .

لقد كانت الإنسانية تتطلع زمنا طويلا إلى دين جديد ، عادل رحيم وكان هذا الدين هو الإسلام .

لقد أفلست نظم الإنسان السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وأدت إلى صراع في كل بقعة من بقاع الدنيا ، مما جعل الإنسانية تتطلع إلى مايقيم لها إنسانيتها ويحفظ لها كرامتها .

لقد كانت سنن الاجتماع البشري قد بلغت بالإنسان أشده ، وأعادته الحوادث الماضية إلى رشده ، فجاء الإسلام يخاطب العقل ويستصرع الفهم واللب .

خامسا : أثر حاجة الإنسانية إلى الإسلام في انتشار الإسلام :

الدين يجيء في أثر الدين ، والرسول يتبع الرسول ، وكل دين له ناسه المحدودون ، وزمنه الموقوت ، حتى بعث محمد – صلى الله عليه وسلم – بدين للناس جميعا ، والإنسانية عامة ، وذلك حين قضت الضرورة المطلقة بإرساله وكان لامصرف عن بعثته ، ليخرج العالم كله مما كان يتخبط فيه من ظلم وضلال وباطل[2] .

ولولا هذه الضرورة المطلقة ، ما اتصلت السماء بالأرض برسالة جديدة هذا

= الأنجلو المصرية ، سنة : ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م .

(١) المصدر السابق ، جـ : ١ ، ص : ٣٢ – ٣٣ .

(٢) د . محمد يوسف موسى ، الإسلام وحاجة الإنسانية إليه ، ص : ٢٢ ، ط : دار الفكر العربي ، بيروت .

الاتصال الذي هو خرق لقوانين الطبيعة ، فلا يكون إلا عند حاجة البشرية الملحة المتلهفة لدين جديد .

نعم . كان العالم في حاجة ملحة لدين جديد ، بعد أن خفت صوت الرسل السابقين وضاعت معالم الرسالات الإلهية ، التي أرسلها الله لعباده لافرق في ذلك بين بلاد العرب ، إذ يوجد بيته المحرم ، وبلاد الروم المهد الثاني للمسيحية ، وفارس ، إذ كانت المانوية والزرادشتية ، والمزدكية ، وغير هذه البلاد وتلك من أقطار العالم المختلفة . فكان من الطبيعي أن يستتبع هذا الفساد في العقيدة ، وتلك الفرقة في الدين ، والاضطهاد للخارجين على مذهب الدولة والانحلال في الأخلاق ، والفساد في الإدارة ، والظلم في المجتمع .

وهذه الوجوه من الفساد ، كان لها بلا ريب أثرها في تقبل الإسلام في كثير من نواحي الامبراطورية الرومانية بقبول حسن بين المسيحيين أنفسهم إذ وجدوا فيه متنفسا لهم ، ومخلصا مما كانوا فيه من عنت وكرب[1] .

نعم : كان من رحمة الله – كما يقول محمد عبده – بأولئك الأقوام أن يؤدبهم برسول يوحى إليه رسالته ، ويمنحه عنايته ، ويمده من القوة بما يتمكن معه من كشف تلك الغمم ، التي أظلت رؤوس جميع الأمم[2] .

إن الحالة الدينية فضلا عن الحالة الاجتماعية الظالمة ، التي كانت عليها الأمم قبل الإسلام ، كانت تتطلب إنقاذا سريعا ، يخرجهم من الظلمات إلى النور ، ومن ضيق الظلم إلى رحابة العدل ، فكان هذا المنفذ هو الإسلام[3] .

والإنسانية في عصرنا هذا أشد ما تكون حاجة إلى الدين الإسلامي فإن التقدم العلمي المادي الذي غزا الفضاء ، لم يستطع أن يحقق للناس السعادة والطمأنينة التي ينشدون ، بل زادهم تكالبا على المادة ، وتنافسا جشعا جر إلى حروب .

---

(١) المصدر السابق ، ص : ٢٥ .

(٢) محمد عبده ، رسالة التوحيد ، ص : ١٨١ .

(٣) د . محمد يوسف موسى ، الإسلام وحاجة الإنسانية إليه ، ص : ٢٦ .

فالذي نرجوه إذن لإصلاح هذا العالم الذي نعيش فيه ، بعد أن أفلست كل نظمه السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وبعد أن نجمت فيه فلسفات تدعو لإنكار وجود الله ، والتحلل من المسئولية ، وفاضل الأخلاق[1] .

إنه لاشيء غير هذا الدين الإسلامي ، فلا خلاص للإنسانية إلا بالرجوع إلى الدين الحق ، ولن نجد هذا الدين – كما أنزله الله – واضحا ميسرا ، خاليا من الغموض والتعقيد ، سليما من التحريف والتبديل ، إلا في الإسلام خاتم الرسالات الإلهية ، فهو دين الروح والمادة ، والقلب والعقل ، والفرد والجماعة ، والدنيا والآخرة[2] .

فإلى هذا الإسلام في عقيدته وشريعته ، في عباداته ومعاملاته ، في نظمه وأخلاقه ، ندعو البشرية كلها : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ۝ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[3] .

هذا الدين لايزال العالم في حاجة شديدة إليه ، ولا خلاص للإنسانية مما تعانيه إلا بالإيمان به ، فهو الآمر بالمعروف ، والناهي عن المنكر ، والداعي إلى الحق ، وإلى الصراط المستقيم .

وبعد :

فهذه حقائق علمية مسلمة :

– اختيار الرسول – صلى الله عليه وسلم – ليبلغ الإسلام .
– اختيار الأمة الأولى للإسلام .
– عناية الله في اختيار المكان لظهور الدعوة .
– عناية الله في اختيار الزمان لظهور الدعوة .

---

(١) د . محمد يوسف موسى ، الإسلام وحاجة الإنسانية إليه ، ص : ٢٧ .
(٢) محمود شلتوت ، من توجيهات الإسلام ، ص : ٢٤ .
(٣) سورة النساء ، الآيتان : ١٧٤ – ١٧٥ .

- حاجة الإنسانية إلى الإسلام .
-أثر العوامل والاختيارات السابقة في انتشار الإسلام .

هذه الحقائق الأصيلة ، قد بينت لنا فضل الله - سبحانه وتعالى - على عباده ، ورحمته بهم ، فكان ظهور الإسلام ظاهرة تجمع بين العقيدة والحركة في حيوية ، لاينضب نبعها ، كما تفردت تلك الظاهرة بالجانب الروحى والعقدي الذي تمثل في انتشار الإسلام دينا واحدا ، وعقيدة أقوى في تماسكها ، وتقارب مذاهبها من أية عقيدة قائمة .

علم الله -سبحانه وتعالى -أن عباده لاينتفعون بمدد ، سوى الدين وهو المدد الذي طواه الله في قوله للملأ الأعلى منذ التدبير فى خلق الإنسان وجعله خليفة في الأرض : ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[1] . قد وضعه الله أساسا لحياة الإنسان منذ خلقه ، وعلق به عمارة هذه الدنيا : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ * قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۚ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾[2] .﴿ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴾[3] .

هذا المدد هو الهداية السماوية ، التي تعهد الله بها عباده ، وآمنت به الأرواح الصافية المؤمنة بمهمة الإنسان في هذه الحياة .

---

(١) سورة البقرة ، آية رقم ٣٠ .
(٢) سورة البقرة ، الآيتان : ٣٧ - ٣٨ .
(٣) سورة طه ، آية رقم ١٣٣ .

وكان مما طلب إبراهيم وولده إسماعيل من ربهما في إسعاد ذريتهما ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ...﴾[٤] ، طلبا منه ذلك ، وهما يعلمان أن ذريتهما لاتخلو من تفكير عقلي ، تستطيع أن تتخذ منه منهج حياتها ، وتنظيم شئونها ، لعلمهما أن الفكرة الإنسانية مهما سمت ومهما تجرد أصحابها من الأغراض ، فهي بمكان من الضعف .

وعلى هذا الأساس تعهدت العناية الإلهية الإنسان في جميع أطواره ترشده إلى وسائل الإصلاح التي يحتملها استعداده ، فأرسلت الرسل ، وأنزلت الكتب وسارت في هذا السبيل ، حتى وصل الإنسان إلى درجة من الاستعداد العقلي والنضوج الفكري ، والتفتح الذهني لرسالة عامة خالدة ، تضمنت بنصوصها وإشاراتها جميع ما يحتاجه الإنسان .

وبهذه الرسالة الخالدة ، بعث الله محمدا – صلى الله عليه وسلم – بعد أن هيأ له الزمان ، والمكان ، واصطفاه ، واختاره ، وأنزل القرن الكريم بعد أن جعل العرب أهلا للغة القرآن ، ليبلغوا الناس القرآن ، وينشروا في الأرض الإسلام . وبه أكمل الله هدايته ، وأتم على عباده نعمته ، وكان محمد – صلى الله عليه وسلم – خاتم الأنبياء والرسل .

***

(٤) سورة البقرة ، آية رقم ١٢٩ .